أَلتَّعْبِيرُ الفَنِّيُّ وَجَمَالُ السِّيَاقِ فِي لُغَةِ القُرْآنِ الكَرِيمِ

د. مصطفى عباسي مقدم عبد الحر زيدان حمزة
جامعة كاشان- جمهورية ايران الاسلامية

فحوى البحث

يبسط البحث هدف القران الكريم من جمال تعبيره وسياقه؛ أن يحمل سرا اعجازيا لغويا بنظمٍ غايةٍ في الدقة والسياق، لا يضاهيه تعبير اخر، ليكون مؤثرا في النفس الانسانية وبنائها، انطلاقا من هدف القران الكريم العام: لبناء شخصية الانسان وتكامله، ولبناء مجتمع قراني، يتحلى بالصفات الاسلامية الحميدة، التي اودعها الله تعالى في فطرته، ليسود الامن والامان والعدل والمساواة لسكان المعمورة؛ فكان الجمال التعبيري والسياقي في: اختيار اللفظ المناسب للمعنى المناسب، والتقديم والتأخير في الفاظها للاختصاص، او لحكم القافية، او لجمالية اخرى، وقد عزز أقواله بالاستشهاد بالآيات الشريفة، كلٍ بحسب موضوعه للوصول الى المعنى الذي اراده الله سبحانه وتعالى به عباده واحب خلقه اليه.

المقدمـــــــة:

الحمد لله رب العالمين؛ والصلاة والسلام على اشرف خلقه محمد واله بيته الطيبين الطاهرين.

اما بعد:

القران الكريم بألفاظـــه ومعانيه، بشكله ونظمه وتركيبه، بأحكامـــــه وقصصه، وبكل ما يحمله في طياتـــــه، صادر من الواح الاحد الفرد الصمد، من الله سبحانه وتعالى هداية للبشر ورحمـــة للعالمين، ليخرج النـاس من جلابيب الظلمة الى نور الهداية والرحمة، قال تعالى: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ [سـورة إبراهيم: ١]، ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾[سورة النحل: ٦٤]؛ وهو من عند الحكيم العليم، مطلق الجمال؛ والذي يريد به هداية ومصلحة البشر، لتكامله ونيله السعادة الأبدية؛ فكيف لا يكون صورة متكاملة في غاية الجمال في جميع جوانبه ليكون جديرا بتحدي بني البشر لعجزهم عن الاتيان بمثله، قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾ [سورة الإسراء: ٨٨]؛ ولكي يكون اكثر تأثيرا في النفوس وتهذيبها، وأعمق اشراقا للقلوب وتنويرها، وأبلغ في الحجة وتثبيتها، وللسير بالنفوس الى حيث اطمئنانها، والرجوع الى ربها راضية مرضية للدخول في جنانه التي اعدت لمن يستحقها من عباده، قال تعالى: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [سورة الحديد: ٢١].

وقـد سطّرنـا هـذا البحث الموجز لتكشف جانبـــا من الصور الجمالية من القـران الكريم، في السياقات اللغوية لمفرداته... املا في رضا الله ودافعا لرفد الدراسات القرآنية المعاصرة للنهوض بالجديد والنافع لرقي الانسان وتقدمه.

التعبير القرآني:

١. **التعبير لغة واصطلاحا:**

التعبير لغة: مصدر اشتق من الفعل (عـبر)، جـاء في معجم مقاييس اللغة: ((العين والباء والراء أصلٌ صحيح واحدٌ يـدلُّ على النفوذ والمِضي في الـشيء، وفي بـاب: عَـبَرَ الرُّؤْيا يعبرها عَـبْرًا وعِبارة، ويُعبِّرُها تعبيراً، إذا فسَّرَها؛ فأمّا الاعتبار والعِبْرة فعندنا مقيسانِ من عَبْرِي النَّهر، ووجه القياس في هذا عُبُور النَّهْر))[1].

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ [سورة يوسف: ٤٣].

ووردت كلمـــة (عبرة) في القران الكريم في عدة مواضع، دالة على معاني متعددة كما في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة يوسف: ١١١]، ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴾ [سورة النازعات: ٢٦].

التعبير اصطلاحـــــا: هو مجموعة الافكار والمعاني التي يعبر عنها بأسلوب فني جميل ليبعث في النفس تشويقـــا، ويهيج الانفعالات الوجدانية، سواء منها المكتوبة، او المسموعة؛ ولهذا الاسلوب الفني الجمالي تأثيرات جانبية كالشوق والرغبة والقبول عليه، وتأثيرات نفسية وعاطفية تدفع نحو قبوله، والتفاعل معه، كما في النصوص القرآنية المباركة. ويقول الدكتور الجيوسي في تعريف التعبير الاصطلاحي: ((التعبير مصطلح اشتهر عند كل من (اللغويين والفلاسفة وعلماء النفس)، وهو عندهم جميعا في نهاية الامر يؤدي الى معنى واحد: يشير الى الدلالة على ما في النفس بالكلام، او بأية وسيلة اخرى، واظهار الافكار؛ تمثيل المعاني والحالات النفسية تمثيلاً))[2].

ويشير عالم سبيط النيلي الى ما يقصد

(١) ابن فارس: احمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ)، مقاييس اللغة، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٢م: ج ٤، ض: ١٧٠ -١٧١.

(٢) الجيوسي: عبد الله محمـــد (الدكتور)، دار الغوثاني للدراسات القرآنيـــة -دمشق، ٢٠٠٦م: ط ١، ص: ٣٥.

بالعبارة القرآنية التامـــــة المعنى قائلاً: ((ويقصد به الجملة التامة المعنى ولا يشترط أن يكون آية كاملة، بل قد يكون شطر آيـةٍ أو آيـةً وشطر أو آيتين مثل: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [سـورة النمل: ٦٤]، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [سـورة الـرحمـن: ١٣]، ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [سـورة الـصـافـات: ١٥١ -١٥٢] فالتركيب الأول شطر آيـةٍ، والثاني آيةٌ كاملةٌ، والثالث آيتان))[٣].

ولا ينحصر التعبير باللفظ فقط بل هناك تعبير بالإشارة، وتعبير مصـــرح بـه، او تعبير يلمح عـنـه، وكـما يصرح البلاغيون (التلميح ابلغ من التصريح)، ويقول المطعني: ((التعبير اللغوي أسمى أنـواع التعبير، وأوضحهـــا في الدلالة على المـراد، وأيسرها على المعبرين، وهو الأصل في الإبانة والكشف، وبه تتفاوت الدلالات في القوة والضعف، والغموض والـوضـوح، وبـه تظهر الميـزة بين قول وقول، ومعنى، وهو أقدرها على تصوير المعاني الدقيقة ونقلها إلى السامعين. وهو الـذي يميز الإنسان بأسلوبه الراقي مما سواه من كائنات لها القُدرة على أن تطلق أصواتاً؛ فالتعبير الواضح الجميل خاصة من خصائص الإنسان الراقي))[٤]. قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [سورة الرحمن: ١ -٤] ومما تقدم يخلص الجيوسي الى تعريف جامع لمصطلح التعبير قائلاً: هو ((اظهار ما في النفس والإفصاح عنه بشتى الوسائل التي يستخدمهـــا الانسان عند تواصله مع الاخرين بما في ذلك الكلام والاشـارة وملامح الوجه وتـصـويـره لـلأذهـان تـصـويـراً بـارزاً لا غموض فيه. وبهذا نستطيع ان ندرك صلة هذا المعنى الاصطلاحي بمعناه اللغوي، فمعنى الانتقال فيه بارز، ومعنى التحول من حال الى حال فيه لا يخفى))[٥].

٢. جماليـــة اختيار الكلمـات في التعبير القرآني و دورها فى البنية التركيبية:

(٣) النيلي: عالم سبيط، النظام القرآني، ص: ٢٥.

(٤) المطعني: عبد العظيم ابراهيم محمد (الدكتور)، خصائص التعبير القـــرآني وسماته البلاغية.

(٥) الجيوسي: م. س، ص: ٣٧.

استعمل القران الكريم البنية التركيبية للكلمة بغاية الدقة والجمال للمعنى المسوق له الكلام، مراعيا كل مشاعر المتلقي وما يحيط به من وضع. ويقول الدكتور زاهد: ((لقد استعملت الكلمة ذات المعنى المعجمي والصيغة الصرفية في القرآن استعمالا دقيقا، وكان بناؤها بناء محكما متوازناً صوتيا ومتوازياً في ترتيب حروفها بحيث لم تكن وحشية أو متنافرة الحروف، خصوصا حين تركب مع غيرها في جملة ثم هي متوازنة دلاليا أيضا فيها من الخصائص التي وصفها أهل البيان بالفصيحة، أما الكلمات التي وصفت بالغريبة وألفت فيها رسائل وكتب تحت عنوان "غريب القرآن" فكلها كانت غريبة في دلالة استعمالها لا غرابة فى صيغتها، وذلك إبداع ومن صفات الاعجاز، نحو قوله تعالى ﴿ ثُمَّ نَبْتَهِلْ ﴾ في الآية ﴿ ... ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[سورة آل عمران: ٦١]، وقوله تعالى: ﴿ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [سورة آل عمران: ٧١]: معناها تخلطون الحق بالباطل. "إصّري": أي عهدي؛ ﴿ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ﴾ [سورة آل عمران: ٨١]، وهذا كل ما سمي "غريب القرآن" فهو الاستعمال الجديد القرآني للألفاظ والتراكيب بمعانيها الجديدة، ومنهم من سماه "مشكل القرآن" وآخر سماه مجاز القرآن"))[٦].

وفي حالة تخفيف اللفظ للكلمة بتغير ما يناسب بنيتهـــا دون المساس بالمعنى يذكر الدكتور زاهد: ((ومن الظواهر الفنية في صيغ الكلمات في التعبير القرآني تخفيف الكلمة ولو بتغيير هيكل بنيتها لتنسجم مع أخواتها في القراءة كما في قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [سورة البقرة: ٩٨]: استعمل "جبريل"، قلبت همزتها ياء مناسبة للكسرة، وميكائيل تحولت إلى ميكال. وفي قوله تعالى: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ [سورة التين: ١ -٢]: طور سيناء، تحولت إلى ((سينين)).

(٦) زاهد: زهير غازي (الدكتور)، البنية في التعبير القرآني -نصوص، مجلة الزمان، (جريدة عربية دولية مستقلة)، رابط النت: http: / / www. azzaman. com.

واستعمل القران الفعل والاسم في التعبير وكُلًا في محله المناسب، ودلالته؛ فالفعل: حدث يدل على الزمن والتجدد؛ والاسم: يدل على الثبوت والاستقرار، ففي قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة: ٣٠]، يقول السامرائي: ((فهو لم يجعله بعد ولكن ذكره بصيغة اسم الفاعل للدلالة على أن الأمر حاصل لا محالة فكأنه تم واستقر وثبت. ومثله قوله تعالى لنوح عليه السلام: ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [سورة هود: ٣٧] فلم يقل: سأغرقهم أو إنهم سيغرقون. ولكنه أخرجه مخرج الأمر الثابت أي: كأن الأمر استقر وانتهى؛ فخلاصة الأمر أن الفعل يدل على الحدث والتجدد والاسم يدل على الثبوت والاستقرار. وقد استعمل القرآن الفعل والاسم استعمالاً فنياً في غاية الفن والدقة))[٧].

واستعمل الفعل في حالة الاحياء، والاسم للأموات ففي قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٩٥]، ((فاستعمل الفعل مع الحي فقال: "يخرج" واستعمل الاسم مع الميت فقال: "مخرج" وذلك لأن أبرز صفات الحي الحركة والتجدد فجاء معه بالصيغة الفعلية الدالة على الحركة والتجدد، ولأن الميت في حالة همود وسكون وثبات جاء معه بالصيغة الاسمية الدالة على الثبات))[٨]، فقال: ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ [سورة الأنعام: ٩٥]. وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٣٣]: استعمل الفعل "ليعذبهم" في صدر الآية، واستعمل الاسم "معذبهم" في عجزها: ((وذلك أنه جعل الاستغفار مانعاً ثابتاً من العذاب بخلاف بقاء الرسول بينهم فإنه -أي العذاب -موقوتٌ ببقائه بينهم. فذكر الحالة الثابتة بالصيغة الاسمية والحالة الموقوتة بالصيغة الفعلية وهو نظير قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا

(٧) السامرائي: فاضل صالح (الدكتور)، التعبير القرآني، ص: ٢٢.

(٨) ن. م، ص: ٢٣.

وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾ [سورة القصص: ٥٩] فالظلم من الأسباب الثابتة في إهلاك الأمم فجاء بالصيغة الاسمية للدلالة على الثبات، ثم انظر كيف جاءنا بالظلم بالصيغة الاسمية أيضاً دون الفعلية فقال: (وأهلها ظالمون) ولم يقل: (يظلمون) وذلك معناه أن الظلم كان وصفاً ثابتاً لهم مستقراً فيهم غير طارئ عليهم))[٩].

٣. جمالية سعة الكلمة لمعاني متعددة:

الأول: استعمال المعاني:

استعمل القران الكريم الكلمة لتدل على معنى يحدده سياق النص، ويتغير المعنى بتغير موقعها في النص، ولا تحمل معنى واحدا لكل نص، في حين نجدها خارج النص تحمل معنى واحدا، كما في الفعل، "كتب": معناه المتعارف هو موضوع الكتابة، في حين يستعمله القران في عدة معانٍ منها:

أ. استعملها بمعناها الاصلي في "الكتابة": كما في قوله تعالى: ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٧٩].

ب. استعملها بمعنى "قضى": قال تعالى: ﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ ... ﴾ [سورة المائدة: ٤٥].

ج. استعملها بمعنى "أوجب": قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١٨٣].

د. استعملها بمعنى "التوقيت": قال تعالى: ﴿ ... إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾ [سورة النساء: ١٠٣].

الفعل "أتى" في قوله تعال: ﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [سورة النحل: ١]، ((فالفعل يدل على القرب، ولكن في قوله تعالى: ﴿ بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةٗ فَتَبۡهَتُهُمۡ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴾ [سورة الأنبياء: ٤٠]، يدل على المفاجأة

(٩) ن. م، ص: ٢٦.

والمداهمة))[10]، وكما في قوله: ﴿ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾[سورة يوسف: ١٠٧].

الفعل ظنَّ: في الاصل يدل على مرتبة هي دون العلم، ونرى استعماله في التعبير القرآني في يوم القيامة بهذا المعنى، في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٤٦]، و ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ ﴾[سورة البقرة: ٢٤٩]، في حين ورد في سورتي البقرة والنمل: ﴿ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٤]، ﴿ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾ [سورة النمل: ٣] من المعلوم ان الفعل ظنَّ فيه نسبة من الشك والتردد، واستعماله للقاء الله(يوم القيامة) لم يقطع باليقين التام، لأنه ادنى من العلم، ويقول استاذ من اساتذتنا في محاضراته في الجامعة الاسلامية المرحلة الرابعة: (من الدلالات النفسية للفعل ظن: هي حالة عدم الاطمئنان وعدم الوصول الى درجة اليقين القاطع الجازم فتبقى عند الانسان نسبة من الشك والتردد... ، لماذا استعمل القران الظن مع الاخرة؟. ان الانسان اذا وصل الى اليقين بشيء فيحصل لديه الاطمئنان والتقاعس عن العمل، لذلك اراد الله تعالى ان يجعل نسبة من العلم حتى يبقى الانسان غير مطمئن وخائفاً، ولا يتقاعس عن العمل). في حين استعمل ظن بمعنى الشك في قوله: ﴿ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴾ [سورة الأحزاب: ١٠].

الثاني: الوجوه والنظائر:

أ. المشترك اللفظي:

المشترك اللفظي: وهو ان يكون للفظة الواحدة اكثر من معنى ودلالة، بحيث ان كل لفظة تؤدي معنى يحدده السياق القرآني، وورد كثيرا في القران الكريم، ((وَقَدْ جَعَلَ بَعْضُهُمْ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ مُعْجِزَاتِ الْقُرْآنِ حَيْثُ كَانَتِ الْكَلِمَةُ الْوَاحِدَةُ تَنْصَرِفُ إِلَى عِشْرِينَ وَجْهًا أَوْ أَكْثَرَ أَوْ أَقَلَّ وَلَا يُوجَدُ ذَلِكَ فِي كَلَامِ الْبَشَرِ))[11]؛ وتناول القدماء

(١٠) زاهد: مجلة الزمان، م. س.

(١١) الزركشي: بدر الدين محمد بن عبدالله

دراسته لغويا واصوليا، فاطلق اللغويون عليه عبارة: ((ما اتفق لفظه واختلف معناه))[١٢]، وعرفه الاصوليون بانه: ((هو اللفظ الموضوع لحقيقتين مختلفتين أو أكثر وضعا أولا من حيث هما كذلك))[١٣]، أي ان اللفظة الواحدة وضعت للمعاني المتعددة وحسب السياق وضعا حقيقيا لكل منها؛ وليس حقيقة لاحدها ومجازا لأخر.

وبين الدكتور الضامن أنَّ: ((من المشترك اللفظي ما يسمى بـ "الوجوه والنظائر"))[١٤]؛ ومعنى الوجوه والنظائر وكما بينه ابن الجوزي في نزهة الاعين والنواظر: ((اعلم أن معنى الوجوه والنظائر أن تكون الكلمة واحدة، ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد، وحركة واحدة، وأريد بكل مكان معنى غير الآخر، فلفظ كل كلمة ذكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر، وتفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الأخرى هو الوجوه. فالنظائر: اسم للألفاظ، والوجوه: اسم للمعاني))[١٥].

((ومعرفة الوجوه والنظائر في القرآن الكريم؛ وسيلة من أعظم الوسائل لفهم معانيه على وفق مقاصده ومراميه. فهو علم يكشف عن مراد الله -تعالى- من كلامه العزيز في مواضعه المختلفة بحسب ما يؤدى إليه سوابق الكلام ولواحقه؛ إذ كل لفظ في موضع قد يختلف عن مثله في موضع آخر أو في عدة مواضع، فلو حمل

(ت٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القران، تحقيق، إبراهيم: محمد أبو الفضل، دار احياء الكتب العربية (تصوير دار المعرفة، بيروت -لبنان)، ١٩٥٧م: ط ١، ج ١، ص: ١٠٢.

(١٢) الضامن: حاتم صالح (الدكتور)، فقه اللغة، دار الآفاق العربية، نصر -القاهرة، ٢٠٠٧م: ط١، ص: ٧٨.

(١٣) فخر الدين: محمد بن عمر بن الحسن(٦٠٦هـ)، المحصول في علم أصول الفقه، دراسة وتحقيق، العلواني: الدكتور طه جابر فياض، مؤسسة الرسالة، لبنان-بيروت، ١٩٩٧م: ط ٣، ج ١، ص: ٢٦١.

(١٤) الضامن: م. س، ص: ٧٨.

(١٥) ابن الجوزي: جمال الدين عبدالرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ)، نزهة الاعين النواظر في الوجوه والنظائر، تحقيق، الراضي: محمد عبدالكريم كاظم، مؤسسة الرسالة، لبنان-بيروت، ١٩٨٤م: ط ١، ص: ٨٣.

اللفظ على معنى واحد في كل الموضوعات لأدى ذلك إلى التعارض والتناقض والجهل بما وراء المعاني من المقاصد))[١٦].

ب. هل ان الترادف من الوجوه والنظائر؟.

الترادف عند اللغويين والاصوليين: تعرف الالفاظ المترادفة، بانها: تلك التي فيها ((تكثرت الألفاظ واتحد المعنى))[١٧]؛ وعرفه المناطقة: هو ((اللفظ المتحد مع لفظ آخر في المعنى، ومثاله لفظ "الأسد" ولفظ "الليث" فانهما وان اختلفا لفظاً الا انهما متحدان من حيث المعنى، فكلاهما يدلان على معنى واحد وهو الحيوان المفترس))[١٨]؛ ومن امثلة اختلاف اللفظين والمعنى واحد: زوج وامرأة: قال تعالى: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥ﴾ [سورة الأنبياء: ٩٠]، ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾ [سورة النساء: ١٢٨].

جاء واتى: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [سورة البقرة: ٩٢]، ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [سورة النحل: ١].

طننت وحسبت: قال تعالى: ﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [سورة الحاقة: ٢٠]، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ١١٥]...

٤. الخصوصية السياقية في التعبير القرآني:

بعض الكلمات لها في اصل اللغة معنى معين، قد يكون مساويا او مرادفا لكلمة اخرى، ولكنها حين تدخل في سياق التعبير القرآني تكتسب معاني جديدة ودلالات اضافية غير موجودة في المعنى اللغوي كما في:

أ. استعمال القران الكريم للتعبير عن طرفي العلاقة الزوجية كلمة زوج للإشارة بها الى حالة التوافق والانسجام، او حالة النماء والاخصاب: قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [سورة البقرة: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ

(١٦) المتخصصين: مجموعة من الاساتذة والعلماء، الموسوعة القرآنية المتخصصة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ٢٠٠٢م: ط ١، ج ١، ص: ٦٠٢.

(١٧) فخر الدين: المحصول، م. س، ص: ٢٢٨.

(١٨) علي: محمد صنفور (الشيخ)، اساسيات المنطق، بهمن آرا، ٢٠٠٦م، ط ١، ص: ٨٦.

أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة الروم: ٢١]، اشارة الآية الى صفات في عنوان الزوجية وهي: الثقة والطمأنينة، والرابطة النفسية، والتعلق القلبي، والشعور بالعطف والشفقة، فاذا انتفت هذه الصفات انتفى عنوان الزوجية؛ ويشير القران الكريم الى استمرار هذه العلاقة الزوجية ودوامها الى يوم الجزاء كما في قوله تعالى: ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ [سورة الزخرف: ٧٠]، وجاء في محاضرات استاذ اسامة للمرحلة الرابعة لطلبة الكلية الاسلامية الجامعة –قسم الدراسات القرآنية –في النجف الاشرف: (القران الكريم يستعمل احيانا كلمة "امرأة" للزوجة الأنثى اشارة الى حالة عدم التوافق والخلاف مثل امرأة نوح امرأة لوط، قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ [سورة التحريم: ١٠]، وامرأة فرعون: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة التحريم: ١١]، وامرأة العزيز: ﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [سورة يوسف: ٥١]، وامرأة ابي لهب: ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴾ [سورة المسد: ٤]؛ وقد تكون الاشارة الى حالة العقم وعدم الانجاب مثل امرأة ابراهيم: ﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ [سورة الذاريات: ٢٩]، وامرأة عمران والدة مريم: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ ﴾ [سورة آل عمران: ٣٥]، وامرأة زكريا الذي قال: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾

[سورة مريم: ٨]، والدليل على ذلك انتقال التعبير القرآني الى الزوجية بعد انجابها: قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [سورة الأنبياء: ٩٠]، وكذلك مع الزوج الذكر فأحيانا يعبر القران بكلمة بعل اشارة الى حالة الخلاف وعدم الانسجام قال تعالى: ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا ﴾ [سورة النساء: ١٢٨]، ونلاحظ في هذه الآية سلب عنوان الزوجية من الطرفين لانتفاء صفاتها. أو اشارة الى حالة عقم الرجل كما ورد على لسان زوجة ابراهيم: ﴿ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ﴾ [سورة هود: ٧٢].

ب. استعمل القران الكريم في التعبير خطاب الذكور: [قال]، للإناث: كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سورة يوسف: ٣٠]، لندقق الصورة الفنية في الخطاب "قال" للمخاطب المذكر، استعملها للنسوة اللاتي في المدينة ومن اشرافها وبالتحديد من الاسر الحاكمة أي ليست نساء عاديات، فجاء الخطاب بصفة خطاب الذكور ليليق بمقام النسوة ومكانتهن وشرفيتهن (والله اعلم).

ج. استعمال المفرد بصيغة الجمع وبالعكس: استعمل القران في صيغ مخاطبات المفرد للجمع، والجمع للمفرد، كذلك التناوب في استعمال صيغ الجموع، في صور من الكلام، وفي غاية الدقة والبيان ويرصد لمثل هذه التعبيرات الفنية الدكتور السامرائي: نذكر بعضا منها: ((ومن ذلك قوله تعالى في قصة صالح: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [سورة الأعراف: ٧٩]، وقوله في قصة شعيب: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى

وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾ [سورة الأعراف: ٩٣]. فأفرد الرسالة مع صالح وجمعها مع شعيب فقال: (رسالات) قالوا: وذلك أن شعيباً بُعث إلى أمتين: مَدْين وأصحاب الأيكة، وصالحاً بعث إلى أمة واحدة، قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ [سورة الأعراف: ٨٥]. وقال: ﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [سورة الشعراء: ١٧٦ -١٧٧]؛ ومدين غير أصحاب الأيكة، وشعيب عليه السلام كان من مدين ولم يكن من أصحاب الأيكة ولذلك إذا ذكرت مدين قال: (أخوهم) وإذا ذكر أصحاب الأيكة لم يقل: (أخوهم)؛ وقد ذكر الله جملة من الأنبياء وأممهم في سورة الشعراء، وكلهم قال فيه (أخوهم) إلا أصحاب الأيكة. فشعيب أرسل إلى أمتين ولذلك جمع الرسالة فقال: ﴿ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى ﴾ [سورة الأعراف: ٩٣]. وقال صالح: ﴿ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى ﴾ [سورة الأعراف: ٧٩].

ثم لو نظرت إلى ما ذكره كل من صالح وشعيب عليهما السلام وبلغ به قومه لوجدت أن ما ذكره شعيب من الأوامر والنواهي أكثر مما ذكره صالح: فهي في حق صالح رسالة، وفي حق شعيب رسالات))[١٩].

٥. **الخصوصية الجمالية للتعبير القرآني في الترادف والمشترك والتضاد:**

أ. **خصوصية الترادف:**

الترادف: عدة الفاظ تشترك في معنى واحد في اللغة، اما في القران الكريم فهذا الشيء غير موجود، لان كل لفظة تدل على معنى خاصا لذلك النص، ولكل نصٍ اتت فيه؛ واختلف اللغويون في الترادف، ورصد الدكتور زاهد اختلافهم بتوجيهه: ((فمنهم ذهب الى وجوده في اللغة والقران الكريم: فيجمع للمعنى الواحد الفاظاً عدة، ومنهم من ينكر ذلك وحاول ان يوجد الفروق بين الالفاظ المترادفة مثل: الثعالبي في "فقه اللغة"، وابي هلال العسكري في "الفروق اللغوية"، واحمد

(١٩) السامرائي: التعبير، م. س، ص: ٤٥ -٤٧.

بي فارس في "الصاحبي"، وابن جني في "الخصائص"، على اعتبار ما من لفظ يمكن ان يقوم غيره مكانه في القران الكريم. وذلك من خصائص اعجازه. فالشيء اسم واحد وما بعده من المرادفات فهي صفات، فالسيف هو الاسم، واما المهند والحسام والصارم... ، فهي صفات))[٢٠].

ففي قوله تعالى: ﴿ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴾ [سورة طه: ١٠]، ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [سورة النمل: ٧]، ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [سورة القصص: ٢٩]؛ نجد الفعل "آنس" تكرر اربع مرات في الآيات الثلاثة في حين توجد له افعال مرادفة اخرى: "ابصر، رأى، نظر": ولكن لن يتجانس اللفظ مع الدلالة باي منهما، ولن يستقم السياق التعبيري دلاليا لمعنى اللفظ "آنس"، ((الفعل آنس في المعجم: ابصر: ابصر الصوت: سمعه، وانس نارا: ابصرها او نظرها او رآها. وهذه الالفاظ ليست مرادفة لآنس. فاستعمال آنس القرآني معناه ابصر مع الاحساس بالأنس والشعور بالراحة. اما الفعل المرادف ابصر او رأى فليس له هذا الشعور والايحاء عند الاستعمال ولا يمكننا ان نقيمه مكان آنس ولا يطابق معناه فهو بمعنى نظر ببصره او بمعنى تأمل. وهذا لا يطابق ذاك))[٢١].

ولو امعنا النظر متأملين الصور الفنية في هذه الآيات لوجدنا تميز الفعل "آنس" وانفراده لتميزه بمجموعة من الدلالات تتناسب مع الحدث، أجملها الاستاذ اسامة في محاضراته المذكورة آنفاً وهي:

أ. حالة الشعور والاحساس بالشيء المرئي.

ب. حالة الترقب والبحث من قبل الرائي

(٢٠) زاهد: في التفسير اللغوي، التميمي للنشر والتوزيع –النجف الاشرف، ٢٠١٢م: ط١، ص: ٤٢.

(٢١) زاهد: التفسير اللغوي، م. س، ص: ٤٥-٤٦.

للشيء المرئي.

ج. حالة المفاجئة في حدث الرؤية.

د. الحالة النفسية للشخص الرائي: وهي شدة الظلام، وشدة البرد، وشدة الخوف، وتضييع الطريق، فكان ايجاد النار مبطلا لكل هذه المخاوف، فقوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى﴾ [سورة طه: ١٠]، فأشار بالقبس الى ازالة الظلام، وبالهدى الى الدلالة غلى الطريق وهذه الدلالات لا نجدها في الافعال(ابصر، نظر، رأى).

حَلَفَ وأَقْسَمَ: يدعي اهل اللغة ان بينهما ترادف، تقول بنت الشاطئ: ((كثيراً ما يُفسر أحدهما بالآخر. وقلما تفرق بينهما المعاجم...، جاءت مادة "ح ل ف" في ثلاثة عشر موضعاً، كلها بغير استثناء، في الحِنْث باليمين. والغالب أن يأتي الفعل مسنداً إلى المنافقين، كآيات التوبة التي فضحت زيف نفاقهم: ﴿وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [سورة التوبة: ٤٢]، ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾[سورة التوبة: ٦٢]، ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ﴾ [سورة القلم: ١٠]...؛ وأما القسم، فيأتي في الإيمان الصادقة؛ وجاء موصوفاً بالعظمة في آية الواقعة))[٢٢]، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [سورة الواقعة: ٧٥]، ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [سورة الواقعة: ٧٦]، وقد تكون الاشارة به الى المبالغة في القسم: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٩].

وحين يعبر القران عن الحالة العامة للقسم سواء كان صادقا ام كاذبا يستعمل كلمة اليمين: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾[سورة البقرة: ٢٢٤].

ب. خصوصية المشترك اللفظي وجماليته:

هو لفظة تدل على معنيين او اكثر كما في لفظ "عين" فإنها تدل على عين الماء، او العين الباصرة، او الجاسوس، اهل الدار، طليعة

(٢٢) بنت الشاطئ: الاعجاز البياني للقران، دار المعارف، ط٣، ص: ٢٢١ –٢٢٢.

الجيش...؛ وجاء في القران في مواضع عديدة، وفي كل منها يدل على معنى معينا يحكي صورته الفنية سياق التعبير القرآني، فكلمة الهدى: عند استعراضها في النص القرآني نراها تدل على معاني متعددة، احصاها بسبعة عشر معنى استاذ اسامة في محاضراته، ذكر منها: (البيان، الدليل، الارشاد، الفطرة، الاسلام، الايمان...) وقال: ان معناها اللغوي خارج القران ضوء النار الذي يضيء الظلمات ويدل على الطريق، ومن الآيات: ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٩٣]، ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [سورة النساء: ١١٥]، ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾ [سورة الجن: ١٣]، ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [سورة الصف: ٩].

وكلمة: "امة": معناها اللغوي جماعة من الناس ورصد استعمالها الدكتور زاهد في كتابه "في التفسير اللغوي" لعرض معانيها وكما يلي:

١. بمعنى جماعة من الناس الموحدة المنسجمة قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[سورة البقرة: ١٢٨].

٢. وبمعنى الحين الزمان الطويل، وهي عشرة سنوات بعدها تذكر بان يذكر يوسف عند ربه، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴾ [سورة يوسف: ٤٥].

٣. وبمعنى الدين))[٢٣]. كقوله تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ [سورة الزخرف: ٢٢].

ج. **خصوصية التضاد وتناسق المعنى:**

هو استعمال اللفظ لمعنيين متضادين، وفي اصل اللغة ليس كذلك، ومصادقه

(٢٣) زاهد: في التفسير اللغوي، م. س، ص: ٤٦.

في التعبير القرآني كثير نذكر منها، قاله تعالى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴾ [سورة التكوير: ١٧]. عسْعَسَ اللَّيْلُ: أظلمَ، أقبلَ بظلامه. عسعسَ اللَّيلُ: مضَى، أدبر: (قاموس معجم المعاني –عربي: عربي)؛ والليل اذا عسعس: أي اقبل بظلامه واضاء بنجومه وكواكبه، وبمعنى ادبر وانتهى: وهذان معنيان متضادان؛ وقال تعالى: ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ﴾ [سورة يونس: ٥٤]، فالمعنى مرة اظهروا الندامة (اظهارها)، واخرى اسروا الندامة (اخفاءها).

٦. جمالية التحول في السياق التعبيري القرآني:

السياق القرآني ليس ثابت الاسلوب بل يتنقل بين اساليب مختلفة لان القران متجدد غير جامد في صيغه لينشط العقل للتعقل والتفكر في آياته، وليترك بصمات مؤثرة على النفوس ففي الآيات الشريفات التالية: ﴿ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ﴾ [سورة ق: ٢]، ﴿ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴾ [سورة هود: ٧٢]، ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴾ [سورة ص: ٥]؛ يرصد لنا السامرائي انتقال السياق من عجيب الى عجاب ومن اسلوب توكيدي الى اخر، ((فأنت ترى أنه قال –تعالى –في سورة ق: ﴿ هَذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ﴾ وفي هود: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴾ وفي سورة ص: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴾: أنه تدرج في العجب بحسب قوته ففي سورة(ق) ذكر أنهم عجبوا من أن يجيء منذر منهم فقالوا: ﴿ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ﴾. وفي سورة هود كان العجب أكبر لأنه من خلاف المعتاد أن تَلِدَ امرأةٌ عجوز وعقيم: ﴿ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ﴾ [سورة الذاريات: ٢٩]، وبعلها شيخ إذْ كُلُّ ذلك يدعو إلى الغرابة والعجب فالعجوز لا تلد، فإذا كانت عقيماً كانت عن الولادة أبعد إذ يستحيل على العقيم أن تلد. فإذا اجتمع إلى كل ذلك أن بلعها شيخ كان أبعدَ وأبعد ولذا أكَّدَ العجب بأنّ واللام فقال: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴾ [سورة هود: ٧٢]. بخلاف آية(ق) فإنه لم يؤكد

العجب))[٢٤].

وفي [سـورة ص]: كان تعجب المشركين اكبر، واحتاجوا الى تأكيد اكثر وردع اعلى، فعبر السامرائي عنها قائلا: ((وأما في [سـورة ص] فقد كان العجب عند المشركين أكبر وأكبر إذ كيف يمكن أن يؤمنوا بوحدانية الإله ونفي الشرك وهم قوم عريقون فيه؟. بل إن الإسلام جاء أول ما جاء ليردعهم عن الشرك ويردهم إلى التوحيد، وحَسْبُكَ أن كلمة الإسلام الأولى هي: (لا إله إلا الله) وقد استسهلوا أن يحملوا السيف ويعلنوا الحرب الطويلة على أن يُقِرُّوا بهذه الكلمة، فالقتل أيسرُ عندهم من النطق بكلمة التوحيد، ولذا كان العجب عندهم أكبر وأكبر فجاء بان واللام وعدل من (عَجِيب) إلى (عُجَاب)، فانظر كيف عدل من صيغة إلى صيغة بحسب ما يقتضيه المقام، وانظر كيف يراعي دقة التعبير في كل موضـع، وكيف يلحظ كل كلمة ويضعها في المكان المنـاسب على تباعد الأمكنة))[٢٥].

ولننظر الى الآيتين الشريفتين ونرى تحول السياق: ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [سورة الأنعام: ٧٨]، ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ [سورة الزخرف: ٢٦]، من بريء الى براء: ((فانظر كيف عدل من الصفة المشَبّهة على المصدر وأنت ترى الفرق بين المقامين فإن إبراهيم عليه السلام في آية الأنعام في مقام الحيرة والبحث عن الحقيقة...، فقد ظن أن الكوكب ربه ثم القمر ثم الشمس ثم أعلن البراءة من كل ذلك. أما في الآية الثانية فهو في مقام التبليغ فقد أصبح نبياً مرسلاً من ربه أعلن حربه على الشرك وأعلن البراءة مما يعبد قومه، فهناك فرق بين المقامين والبراءتين. ولذا قال في الآية الأولى: (بريء) وفي الثانية: (براء) وذلك أن(براء) أقوى من بريء فإنها براءة بصيغة المصدر الذي هو الحدث المجرد فإن قولك: (هو رجل عدل) أبلغ من

(٢٤) السامرائي: التعبير، م. س، ص: ٣٦-٣٧.

(٢٥) ن. م، ص: ٣٧.

قولك(هو رجل عادل) وذلك لأن معناه أنه أصبح هو العدل، أي: لكثرة ممارسته للعدل صار هو العدل نفسه))[٢٦].

٧. **التقديم والتأخير في التعبير القرآني:**

الجملة العربية على نوعين: اسمية، والاصل فيها ان تبدء بالاسم ويسمى المبتدأ، ثم الخبر. والخبر: اما ان يكون اسم، او جملة فعلية، او شبه جملة(جار ومجرور او ظرف)؛ والفعلية: في الاصل ان تبدا بالفعل ثم الفاعل الذي يكون ظاهرا او مضمور، ثم بما يسمى الحشو من المفاعيل او الاحوال او الصفات... الخ. ولكن هناك اساليب في اللغة العربية من تقديم او تأخير اللفظ عن عامله لغاية يحدد صورتها السياق والدلالة المعنوية المناسبة، وفي النصوص القرآنية هناك صور فنية دقيقة لهذه الاساليب اللغوية، ومشاهد نصية دقيقة، مبثوثة في آيات الذكر القرآني الشريف نرصد منها: قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة: ٥]، تقديم لفظ "اياك" المفعول به على الفعلين (نعبد، نستعين) لاختصاص العبادة والاستعانة بالله سبحانه وتعالى، وجاء في الكشاف للزمخشري: ((والمعنى نخصك بالعبادة، ونخصك بطلب المعونة. والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل. ولذلك لم تستعمل إلا في الخضوع لله تعالى، لأنه مولى أعظم النعم فكان حقيقاً بأقصى غاية الخضوع))[٢٧].

ويقول السامرائي في مناسبة الاختصاص: ((ولم يقدم مفعول الهداية على فعله فلم يقل: (إيانا اهد) كما قال: (إياك نعبد) وذلك لأن طلب الهداية لا يصح فيه الاختصاص إذ لا يصح أن تقول: اللهم اهدني وحدي ولا تَهْدِ أحداً غيري أو خصّني بالهداية من دون الناس. وهو كما تقول: اللهم ارزقني واشفني وعافني. فأنت تسأل لنفسك ذلك ولم تسأله أن يخصك وحدك بالرزق والشفاء والعافية فلا يرزق أحداً غيرك ولا يشفيه ولا يعافيه))[٢٨]. ومثلها في

(٢٦) السامرائي: التعبير، م. س، ص: ٣٨.

(٢٧) الزمخشري: محمود بن عمرو بن احمد (ت٤٦٧هـ)، الكشاف، المكتبة الشاملة، موقع التفاسير، نت.www. altafsir.com، ج١، ص: ٧.

(٢٨) السامرائي: م. س، ص: ٤٩ – ٥٠.

الاختصاص من تقديم المفعول به على العامل في الآيتين الكريمتين: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [سورة الزمر: ٦٦]، ﴿ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١٧٢]، لاختصاص العبادة بالله سبحانه وتعالى وحده. ومثلها في فعل الاستعانة اقواله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [سورة إبراهيم: ١٢]، ﴿ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا ﴾ [سورة يونس: ٨٥]، ﴿ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ [سورة هود: ٨٨]، قدم الجار والمجرور على فعل التوكل، وقدم التوكل على الانابة لان التوكل اولا من باب الاستعانة ثم الانابة.

ويذكر الدكتور السامرائي من باب: ((تقديم الألفاظ بعضها على بعض في غير الامل وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة البقرة: ١٧٣]، وقوله: ﴿ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ [سورة المائدة: ٣]))[٢٩]؛ وفي الآيتين الشريفتين: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ﴾ [سورة القصص: ٧١]، ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [سورة القصص: ٧٢]، قدم الليل على النهار، ((لان ذهاب الليل بطلوع الشمس أكثر فائدة من ذهاب النهار بدخول الليل، ثم ختم الآية الاولى: ﴿أَفَلَا تَسۡمَعُونَ﴾، بناء على الليل، وختم الآية الاخرى بقوله: {افلا تبصرون}، بناء على النهار، والنهار مبصر، واية النهار مبصرة))[٣٠].

ولنتأمل الآيتين الشريفتين من قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [سورة المائدة: ٣٨]، ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[سورة النور: ٢]، ففي آية

(٢٩) م. ن، ص: ٤٩.

(٣٠) الكرماني: محمود بن حمزة (ت٥٠٥هـ)، تحقيق، عطا: عبد القادر احمد، البرهان في توجيه متشابه القران، دار الفضيلة، ص: ١٩٦ -١٩٧.

السرقة قدم السارق على السارقة؛ وفي اية الزنى قدم الزانية على الزاني ويشير الدكتور السامرائي لعلة التقديم والتأخير في هاتين الآيتين قائلا: ((قدم السارق على السارقة لأن السرقة في الذكور أكثر. وقدم الزانية على الزاني لأن الزنى فيهن أكثر)) (٣١). فلو تدبرنا السياق التعبيري لهما لوجدناه غاية في الروعة والجمال في ترتيب اللفظ وتناسقه، وابراز التناسب اللفظي واهميته فهو يقدم تارة لفظ الذكور لمناسبة الموقف السرقة: حيث تحتاج الى شجاعة وقوة، وعزم واصرار وعدم الانهيار والتخوف وهذا ما يكون مصداقه في الذكور اكثر من الاناث فتقدم، وهم أولى به؛ وأما في جانب الفاحشة والرذيلة والسقوط الاخلاقي، فالأصل ان يكون في الاناث اكثر وابين في جانب الزنا فقدمت الاناث على الذكور، فهن أولى به.

وهناك سياق تقديمي آخر كما في جانب الرحمة وجوانب العذاب؛ فيقدم العذاب كما في: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة المائدة: ٤٠]، ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [سورة المائدة: ١٨]: قدم العذاب للردع والتوبيخ، وقدم الرحمة كما في قوله تعالى: ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [سورة فصلت: ٤٣]، ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [سورة غافر: ٣]؛ لسبق رحمته غضبه، ويقول السامرائي في هذه الآية عن تقديم العذاب ((لأنها وردت في سياق ذِكْرِ قُطَّاع الطرق والمحاربين والسراق فكان المناسب تقديم ذكر العذاب))(٣٢). وقوله تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ

(٣١) السامرائي: التعبير، م. س، ص: ٥١.

(٣٢) السامرائي: التعبير، م. س، ص: ٦١.

جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ [سورة المائدة: ٣٢]، قدم القتل على الاحياء: لأهمية الردع وتجنب القتل، والاسراف فيه، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ ۖ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴾ [سورة الإسراء: ٣٣] والله تعالى اعلم واحكم.

ويأتي التقديم في آيات مراعيا السياق في آيات سبقت الآية، أو لحقت بها كما في لفظتي: "الضرر، والنفع"، ففي سورة الاعراف قدم النفع على الضرر لتقدم الفائدة كما في: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ۚ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٧-١٨٨]، وفي سورة يونس قدم الضرر على النفع كما في ﴿ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [سورة يونس: ٤٩]، لقوله في الآيتين ١١، ١٢ من السورة: ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۚ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[سورة يونس: ١١]، ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة يونس: ١٢]. وجاء بعدها الآية: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [سورة يونس: ٥٠]، فلمناسبة السياق في الآيات المتقدمة والمتأخرة صار تقديم الضرر على النفع أنسب. وفي سورة الرعد قدم النفع على الضر، لتقدم الطوع على الكره في الآية التي سبقتها، لتلائم السياق، والله أعلم: قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ

﴿ ۞ (١٥) قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ [سورة الرعد: ١٥ -١٦].

النتائج:

مما تقدم يتضح لنا ما يلي:

١. ان الصور الفنية في القران الكريم غاية في الجمال ولها تاثير مباشر في الوجدان البشري وحتى في باقي الاحياء... فتنجذب اليه.

٢. تميز الخطاب التعبيري القرآني عن باقي الخطابات بالرقة والعطف والجمال وبنبرات الهداية التي يحملها حتى الموجهة الى المخالفين لمبادئه، المنكرين له.

٣. الدقة العالية في اختيار الفاظه لتدل على المعنى المطلوب تحديدا، وانتخاب اقل الالفاظ لتدل على معاني كثيرة وفق سياق قرآني منفرد النظير.

٤. المشتركات اللفظية وتعددها ليست من باب الترادف اللغوي في القران الكريم بل هي صفات متعددة للاسم لتدل على المعنى المناسب لاختيار اللفظة لتعطي المقصود من المعنى الذي لا يستقيم من غيرها.

٥. المباحث عبارة عن دراسة بسيطة في جانب يسير من جوانب القران الكريم لأشغال العقل البشري فيه، وفي جانب تدبر آياته المباركة واكتشاف اسرارها... لمواكبة العصر والدراسات المناسبة به.